والفتنة : جمع قلة لفتى وهو الشاب المكتمل . وتقدم عند قوله تعالى في سورة يوسف .
والمراد بالفتية : أصحاب الكهف . وهذا من الإظهار في مقام الإضمار لأن مقتضى الظاهر أن يقال : إذ أووا فعدل عن ذلك لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم أترابا متقاربي السن . وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي وثبات الجأش والدفاع عن الحق ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل : أذ أووا إلى الكهف .
ودلت الفاء في جملة (فقالوا) على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى ا .
ودعوا ا أن يؤتيهم رحمة من لدنه وذلك جامع لخير الدنيا والآخرة أي أن يمن عليهم برحمة عظيمة تناسب عنايته باتباع الدين الذي أمر به فزيادة (من لدنك) للتعلق بفعل الإيتاء تشير إلى ذلك لأن في " من " معنى الابتداء وفي (لدن) معنى العندية والانتساب إليه فذلك أبلغ مما لو قالوا : آتنا رحمة لأن الخلق كلهم بمحل الرحمة من ا ولكنهم سألوا رحمة خاصة وافرة في حين توقع ضدها وقصدوا الأمن على إيمانهم من الفتنة ولئلا يلاقوا في اغترابهم مشقة وألما وأن لا يهينهم أعداء الدين فيصيروا فتنة للقوم الكافرين .
ثم سألوا ا أن يقدر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما خولهم من الثبات على الدين الحق والنجاة من مناواة المشركين . فعبر عن ذلك التقدير بالتهيئة التي هي إعداد أسباب حصول الشي .
و (من) في قوله (من أمرنا) ابتدائية .
والأمر هنا : الشأن والحال الذي يكونون فيه وهو مجموع الإيمان والاعتصام إلى محل العزلة عن أهل الشرك . وقد أعد ا لهم من الأحوال ما به رشدهم . فمن ذلك صرف أعدائهم عن تتبعهم . وأن ألهمهم موضع الكهف وأن كان وضعه على جهة صالحة ببقاء أجسامهم سليمة وأن أنامهم نوما طويلا ليمضي عليهم الزمن الذي تتغير فيه أحوال المدينة وحصل رشدهم إذ ثبتوا على الدين الحق وشاهدوه منصورا متبعا . وجعلهم آية للناس على صدق الدين وعلى قدرة ا وعلى البعث .
والرشد " بفتحتين " : الخير وإصابة الحق والنفع والصلاح وقد تكرر في سورة الجن باختلاف هذه المعاني . والرشد " بضم الراء وسكون الشين " مرادف الرشد . وغلب في حسن تدبير المال . ولم يقرأ هذا اللفظ هنا في القراءات المشهورة إلا " بفتح الراء " بخلاف قوله تعالى (قد تبين الرشد من الغي) في البقرة . وقوله (فإن آنستم منهم رشدا) في سورة

النساء فلم يقرأ فيهما إلا " بضم الراء " .

ووجه إيثار " مفتوح الراء والشين " في هذه السورة في هذا الموضع وفي قوله الآتي (وقل عسى أن يهدني ربي لأقرب من هذا رشدا) : أن تحريك الحرفين فيهما أنسب بالكلمات الواقعة في قرائن الفواصل . ألا ترى أن الجمهور قرأوا قوله في هذه السورة (على أن تعلمني مما علمت رشدا) " بضم الراء لأنه أنسب بالقرائن المجاورة له وهي (من لدنا علما معي صبرا ما لم تحط به خبرا ولا أعصي لك أمرا) إلى آخره . ولم يقرأه هنالك " بفتح الراء والشين " إلا أبو عمرو ويعقوب .

(فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا [11] ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا [12]) تفريع هذه الجملة " بالفاء " إما على جملة دعائهم فيؤذن بأن مضمونها استجابة دعوتهم فجعل ا إنامتهم كرامة لهم . بأن سلمهم من التعذيب بأيدي أعدائهم . وأيد بذلك أنهم على الحق . وأرة الناس ذلك بعد زمن طويل .

وإما على جملة (إذ أوى الفتية) الخ فيؤذن بأن ا عجل لهم حصول ما قصدوه مما لم يكن في حسبانهم .

والضرب : هنا بمعنى الوضع كما يقال : ضرب عليه حجابا ومنه قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة) وقد تقدم تفصيله عند قوله تعالى (إن ا لا يستحي أن يضرب مثلا ما) .

وحذف مفعول (ضربنا) لظهوره . أي ضربنا على آذانهم غشاوة أو حائر عن السمع كما يقال : بنى على امرأته تقديره : بنى بيتا . والضرب على الآذان كناية عن الإنامة لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان .

وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية وهي من الإعجاز .

A E